شهرية المسرح

العباسة مسرحية شعرية تأليف عزيز أباظه

هذه مسرحية المؤلف الثانية . وقد اختلف استقبالها من الملتقين والنقاد عن استقبال سابقتها « قيس ولبنى » . . . قوبلت الأولى بالترحيب الخالص والثناء المطلق ؛ بينما اختلفت الآراء فى استقبال الثانية ، وتعرضت للنقد ، الذى بلغ بعضه حد العنف والهجوم .

وهذه ظاهرة طيبة ذات مغزى قيم للأدب وللمؤلف جميعا . وأقل ما تدل عليه أن عنصر المجاملة لم يعد هو الذى يقرر مصاير الأمور فى الأدب . . . وأقول « المجاملة » دون أن أنتقص من قيمة « قيس ولبنى » التى كان لى أنا بالذات موقف قوى فى تقريرها ورأى قاطع فى تفوق مستواها الفنى والأدبى بالقياس إلى كل ما تحويه اللغة العربية من نظائرها . ولكنى أقول « المجاملة » لأن العمل الفنى الواحد الذى يحوز رضاء الجميع — كما بدا فى استقبال « قيس ولبنى » — غير موجود !

وهناك دلالة أخرى لهذا النقد الذى تواجهه « العباسة » وهى أن عزيز أباظة لم يعد ضيفا على مائدة الأدب ، يفسح له أصحاب المأدبة ويهشون فى وجهه ويبشون كما يصنع للضيفان ! إنما هو اليوم من أصحاب المأدبة ، يأخذ مكانه بينهم باستحقاقه وجهده ، وعليه أن يشق طريقه ويحتمل صدمات الزحام ! والذى لاشك فيه أنه قادر على الصدام فى الزحام !

تدور المسرحية على « نكبة البرامكة » هذه النكبة التى طالما هزت مشاعر الشعراء فى حينها وبعده بعشرات السنين ، حتى لقد كان بعض الشعراء يعرض نفسه للموت فى أيام بنى العباس ليطوف خفية بقبور البرامكة منشداً مآثرهم — كما ورد فى بعض الأخبار .

ليس عجيبا إذن أن تعود هذه المأساة فتحرك شاعراً عاطفيا مثل عزيز أباظة فى القرن العشرين !

وللمأساة جانبها التاريخى الراجح ، وجانبها الأسطورى الذى يصاحب عادة مثل هذه المآسى . والذين تتبعوا عزيز أباظة فى « أنات حائرة » وفى قيس ولبنى ، وعرفوا منهما لون مزاجه لم يكونوا ليشكوا فى أى الجانبين يختار ليقيم على أساسه روايته .

ومع هذا فان المؤلف حين أقام روايته على الجانب الأسطورى المستند على « خرافة زواج العباسة الصورى وفتوى أبى يوسف بحل النظر وحده تمكيناً للرشيد من أن يجمع بينها وبين جعفر فى مجلسه ! » لم ينقل الجانب التاريخى للمأساة وهو خوف الرشيد من طموح البرامكة إلى الخلافة أو تسليمها للطالبيين منافسى العباسيين — وبخاصة بعد موقف جعفر البرمكى من يحيى الطالبى — وغيرته من البرامكة الذين أسلمهم مقاليد الأمور فى الخلافة ، فعلوا حتى على الخليفة ، وانصرف إليهم الشعراء والقصاد بالأماديح والمطالب .

. . . ولكن المتتبع للرواية يلمح ميلا ظاهراً إلى ترجيح المؤلف للجانب الأول واتكائه عليه فى بناء الرواية كله .

وليس لأحد أن يملى على المؤلف اتجاها معينا : إلى التاريخ الراجح أو الأسطورة الشائعة ، أو إلى المزج بينهما مزجا متعادلا أو غير متعادل . فالعمل الفنى حر فى اختيار طريقه ، وكل مالنا هو أن نسأل فى النهاية : أوفق أم لم يوفق من الناحية الفنية البحتة ؟ وهل أضاف ثروة فنية أو نفسية إلى الرواية بمخالفة التاريخ ؟ . . . وهذا ما سنجيب عنه بعد قليل .

ولقد لفتت نظرى تلك البدعة النالية فى تقديس الماضى ، التى تقول : إن فى إقامة المسرحية على أساس هذه الأسطورة الشائعة تشويها للحضارة الاسلامية وتجريحاً للشخصيات التاريخية !

وفات الذين قالوا بهذا القول ، أن تلك الأسطورة ليست من صنع « عزيز أباظة » فهو لم يبتدعها ابتداعا ، إنما هى رواية وعاها التاريخ محققا أوغير محقق ، وعاشت بعد المأساة إلى اليوم . فاذا جنح مؤلف إلى استخدامها فى عمل فنى — لا فى تحقيق تاريخى — فانه لا يكون قد صنع شيئاً أكثر من ترديد رواية قائمة ، وصوغها فى صورة تنقلها إلى المستوى الفنى !

والذين يستعظمون أن يخون جعفر عهده مع الرشيد وأن يطيع الهوى مع العباسة ويستعظمون على العباسة — بحجة أنها أميرة هاشمية — أن تضعف فتستسلم . . . هؤلاء إنما يقدسون غير مقدس ، فوق إغفالهم للنوازع البشرية الحية التى هى قوام الحياة وقوام الفن أيضا .

على أن الراجح تاريخيا أن العباسة كأختها علية بنت المهدى لم تكن فوق مستوى الشبهات — وعلم ذلك عند الله طبعاً ولكننا فى الدائرة الأخبارية الشائعة نذكر هذا — وهناك رواية تقول : إنه كانت لجعفر « قهرمانة » تزين له الجوارى والنساء ، وتقدمهن إليه فى لياليه الحمراء ، وأن العباسة كانت مولعة بجعفر — وهو الذى نشأ صغيراً مع أخيها هرون — ولكن مكانتها من الخليفة لم يكن يبيح لها ولا لجعفر إرواء هذا التوله ، فرغبت إلى قهرمانته أن تقدمها إليه فى ليلة دون تعريف . . . وكان هذا ، فلما كشفت له عن شخصيتها بعد ، تعاظمه الأمر وتوقع الشر !

وغير عزيز أباظة كان يؤثر أن يقيم روايته على مثل هذا الاتجاه — دون أن يلومه أحد — وكان يجد فى زوايا الوجد الجامح ، واندفاعات الهوى الأثم مجالا فسيحا لتصوير النفس البشرية — فى احد جوانبها — ولتصوير الجانب الداعر كذلك من الحضارة العباسية — وهو موجود بلا مراء مع جوانبها الأخرى — كما يجد مجالا لتصوير الدسائس تحاك حول البرامكة من الحاسدين والموغورين ، وتثير انفعالات النقمة وأحاسيس الشرف فى نفس الرشيد . . . الخ

ولكن عزيز أباظة بفطرته الطيبة ، وبطهارة ضميره ونقاوته ، ثم بتجربته العائلية المقدسة ؛ لا يجنح إلى استلهام مثل هذا الجانب فى حياة الناس ؛ فهو موكل بالحديث عن العواطف الزوجية ورفعها إلى مستوى الطهارة المقدسة من جهة ، وإلى مستوى الاحساس الفنى من جهة أخرى . ولما كانت الحياة الزوجية بحكم هدوئها وتسلسلها قد لا يجد الفن فيها من الوهج والحرارة ما يجعلها تدخل دائرته ، فقد توكل بها هذا الشاعر العاطفى ، ينفث فيها من الوهج ، ويبث فيها من الحرارة ما يرفعها إلى المستوى الفنى فى أعماله كلها ، سواء فى ذلك « أنات حائرة » أو « قيس ولبنى » أو روايته « العباسة » الأخيرة . ولهذا اختار أسطورة الزواج

الصورى — وما فيه من تطلع وحرمان — ليوقع عليها أعذب أنغامه وأحرها ، وليرتفع بنغمات الحب الزوجي إلى مستوى نغمات الحب العذرى فى جميع العصور .

وها قد رأينا أنه لم يكن هناك تجريح لجعفر ولا للعباسة ، بل كان هناك تطهير لها إذا نحن راعينا بعض الروايات التي تقصها الأخبار .

أما شخصية الرشيد فأنا ألاحظ أنها بدت فى الرواية أصغر مما هى فعلا ، بل لقد بدت زرية فى بعض المواقف . ولكنى لا أذهب فى هذا مذهب الذين يقدسون الرشيد وينظرون إليه بعدسة الأساطير المكبرة !

والواقع أننا نخلط فى تصورنا بين عظمة عهد الرشيد والرشيد نفسه ، وهذا هو الخطأ التاريخى ... فعهد الرشيد كان عظيما بالفعل — وإن لم يبلغ إلى المستوى الأسطورى الذى يعيش فى بعض الأذهان — ولكن الرشيد نفسه لم يكن فى عظمة عهده . ذلك أنه كان وارثاً للعظمة التى أسسها المنصور ودعمها المهدى ، فكان نصيبه هو نصيب الوارث لرصيد ضخم ، قد يستأهله ولكن عمله فيه محدود ! وهو على أى حال لا يبلغ عظمة المنصور العبقرية فى بناء الدولة ، ولا عظمة المأمون الفكرية فى بناء الحضارة العقلية .

والذى يؤخذ من وفاته صغيراً فى نحو الخامسة والأربعين ومن تصرفاته كذلك ، أنه كان عصبي المزاج ، سريع الانفعال ، كثير التقلب من طرف إلى طرف فى المشاعر الانسانية ، مغرقاً فى المتاع ، مفرطاً فى الشهوات — على ما كان ينتابه من نوبات الزهد وانفعالات العبادة ، فتلك سمة هذا المزاج المتقلب — وكان لهذا كله أثره فى معاجلة المنية له فى شرخ الشباب .

والآن نعود إلى السؤال الذى أرجأنا الاجابة عنه ، فنسأل : أوفق المؤلف أم لم يوفق من الناحية الفنية البحتة ، وزاد فى الثروة الفنية والنفسية بمخالفة التاريخ أم لم يزد ؟

والاجابة على هذا تقتضى أن نوقع حوله بضعة تقاسيم قبل أن ندخل فى الصميم !

إذا كان العمل الفنى غير مطالب بموافقة الحوادث التاريخية الجزئية ، فانه مطالب بصحة تصوير الجو التاريخى العام . وقد كانت الفرصة سانحة للمؤلف ليصور عهد الرشيد كله فى ضوء نكبة البرامكة . ولكنه ضيق الدائرة فكاد يحصرها فى قصر الرشيد وفى دسائس القصر حول البرامكة ومكايد نسائه وثورة بغداد ، وعلى الهامش ثورة مصر وثورة الشام ، وهى التى ألم بها المؤلف فى الطريق .

ولقد كانت حياة العصر وحياة الرشيد نفسه أوسع من أن تحصر فى هذا المحيط الضيق . كانت هناك غزوات الروم وهى التى أنفق فيها الرشيد سنوات من حياته ، وكانت هناك حجاته المتوالية التى كانت سنواته دولة بينها وبين الغزوات . ولاحدى هذه الحجات علاقة بجعفر سبقت النكبة وكان لجعفر فيها مكان ملحوظ — وهذه وتلك لم يبد لها ظل فى الرواية — وكانت هناك حضارة العصر المادية والروحية والفنية بشتى مظاهرها وملابساتها — هذه وردت فى الرواية إشارات لها ، ولكنها إشارات لفظية فى معرض تفاخر الرشيد والثناء على البرامكة ، وكان يمكن إبرازها فى ملابسات أظهر وأقوى من الكلمات المجردة ، وإبراز إشعاعاتها فى جو الرواية كله لاشعار النظارة بحقيقة عظمة العصر ، وهو عصر الامبراطورية الاسلامية فى أزهى أيامها .

ولـ — بطبيعة الحال — أن تستحيل الرواية دراسة مطولة لعصر الرشيد —

وبخاصة أن اسمها « العباسة » يحد من مجالها — ولكني كنت أود أن يتسع محيطها إلى الحد الذي يسمح لشخصياتها الأساسية بأن تضطرب في محيط مناسب لها وللعصر الذي عاشت فيه ، وأن تبدو جميع جوانبها الانسانية أو أكبر عدد منها في هذا المحيط الفسيح .

فاذا نحن تجاوزنا عن هذا ونظرنا إلى الرواية في محيطها المحدود الذي أراده لها المؤلف فاننا نطالع التوفيق المعجب في حركة الرواية ، وفي إدارة الحوادث ، وفي رسم الشخصيات ، وفي الخصائص الفنية المسرحية ، وفي الأداء الأدبي . . . كلها جميعاً . وإن كانت لنا بعض المآخذ على الفصل الرابع وعلى بعض الفصول الأخرى .

للمؤلف حاسة فنية مسرحية لا شك فيها ، تتبدى بوضوح في توزيع الحوادث والانفعالات والحركات في رقعة الرواية توزيعاً تبدو فيه الحيوية والتناسق اللذان لا يتوافران إلا لأصحاب هذه الحاسة الموهوبة . وإن كانت هذه الحاسة تخون صاحبها في الفصل الرابع وتفتر قليلا في الفصل الأول ، ولكن إلى حد لا يؤثر في هذه الصفة البارزة المطردة . (ويضيق المقام عن ضرب الأمثلة المفصلة)

وللمؤلف فطرة سليمة في رسم الشخصيات وبث الحياة فيها ، الحياة الطبيعية السليمة . فجميع شخصياته حية تتصرف تصرف الأحياء في مجريات طبيعية للسلوك بلا تكلف ولا تعمل للحادثة أو للانفعال . ولكل منها مبررات طبيعية لسلوكها وأسباب قوية لاتجاه حياتها .

فالعباسة هي المرأة المحبة والزوج المحرومة ، والأم الحانية ، وهي تصارع في هذا كله امرأة أخرى ليست دوافعها بأقل أصالة عن هذه الدوافع . تصارع « زبيدة » المرأة الغيور ، والملكة صاحبة التاج وأم ولي العهد ، وهي تنفس على العباسة شبابها وجمالها وآثارتها عند الرشيد ، وتخشى على تاج الخلافة ، وتنافح عن ولي العهد ابنها الحبيب !

وجعفر هو الشاب الذي تدين له الدنيا في هذا الوقت فيزهى بالشباب والمجد ، وهو الزوج المحب المحروم من حبه لسبب لا يرتضيه ، فهو سليل الأكاسرة الذي يجد نفسه — مع كل أمجاده — ينبز بالهجنة ويوصم بعدم الكفاءة للأميرة الهاشمية ، فترتج في نفسه وتثور جميع رواسبها وانفعالاتها .

والرشيد هو الخليفة الذي يخشى على العرش والخلافة ، والذي يطعن في ترفعه الهاشمي من رفيق شبابه وصباه ، مع ما هو واقع فيه من تأثير الزوجة الغيور ، ودسائس الحاقدين والموتورين ، وهي ليست كذباكلها . فجعفر في ثورة من ثوراته يشير إلى خراسان وجنودها ويقرر أن ليس الملك والخلافة عليه منيعين !

ويحيى بن خالد هو الشيخ المجرب الفطن المحنك ، يرى بفطنته وتجربته تلك البوادر البعيدة التي لا يراها جعفر في اندفاعه وفتوته ، ونتنته بالمجد والشباب ، وثورته في فورة الحب والاعتزاز .

وهرثمة بن أعين هو القائد العربي المظفر الذي لايجد له مكانا في الدولة البرمكية ، فلاعجب أن يشترك في المؤامرة الواسعة النطاق . . . وكذلك بقية الشخصيات الثانوية .

وهكذا نجد كل شخصية ، طبيعية في مواقفها ، طبيعية في اتجاهاتها ، ونلمس المبررات الواضحة لسلوك كل منها في الحياة . ولا ننسى — في هذه المناسبة — أن نلمح من وراء هذه المبررات طبيعة عزيز أباظة الطيبة السمحة الودود !

وبإعجاب كبير نلحظ ذلك الصراع الدائم بين المرأتين الأساسيتين في الرواية : العباسة

وزبيدة . فهو صراع تجمعت له كل أسبابه الطبيعية كما أسلفنا . وهو — بعد هذا — صراع امرأتين خاصة لا مطلق صراع ، فيه طرائق الأنثى فى الحبكة والحركة والمؤثرات والدوافع . وعليه طابع الصراع الأنثوى المميز ، وهو بروز المكايدات الصغيرة الهازلة فى زحمة الصراع الضخم وفى حرارة الحب الرصين . فزبيدة للملكة الحصيفة العظيمة لا تترفع عن دفع سكينة بنت الربيع إلى غمز العباسة فى رجلها جعفر من الناحية الأنثوية فاذا هى تعرض بذكر الجوارى اللواتى أحضرهن معه من غزوته المظفرة ! ولكن علية أخت العباسة ترد الغمزة بنفس الطريقة

لعلها هدية الوزير مرفوعة للعاهل الكبير
إن القيان زينة القصور !

ومثل هذه اللفتات كثيرة ، وهى تدل على براعة نفسية كالبراعة المسرحية الفنية !

فأما القمة فيبلغها المؤلف فى ميدانه الأصيل ، حينما يصور نوازع جعفر الزوج المحروم وعواطف العباسة الزوجة الواهمة . يبلغ هنا قمته الفنية وقمته العاطفية وقمته الأدبية جميعاً ، ويصل إلى درجة الروعة فى نهاية الفصل الثالث على ما تفرق من روائع فى بقية الفصول . ذلك حين يضطران — وهما الزوجان — أن ينتزع منهما ابنهما ويذهب عنهما بعيداً خيفة أن يكون وجوده وانفضاح صلتهما الحقيقية سلاحاً فى أيدى المتآمرين !

حينئذ تنفجر العباسة فى نشيد دام رائع أشبه بالنشيج المجرح المكتوم :

وددت لو كنت فى بغداد جارية — فى بيت صالحة من أهل بغداد
أظل أقضى لها شتى حوائجها — وأتقه الزاد ماأعطى من الزاد
وأرتدى الثوب من أخلاق ما حلمت — أزهى به بين أترابى وأندادى
حتى إذا مال ميزان النهار بنا — فصلت أهفو إلى زوجى وأولادى
أضمهم بجناحى رحمة وهوى — كالطير تخشى على أفراخها العادى
والدار حالية تبهى بأسرتها — كما ازدهى بالنمير السلسل الوادى

وهنا تسقط جميع المظاهر والشبهات وتتبدى المرأة المحبة المفجعة عارية فى أروع عواطفها وأصح خواطرها ، وأعمق اتجاهاتها . ومثل هذا فى الرواية كثير ، وهو وحده يبلغ بها حداً معجباً من التوفيق .

وددت لو ظللت أردد هذه النغمة التى تعبر عن كثير من العمل الفنى فى الرواية ، ولكننى مضطر أن أعود إلى التاريخ وموقف المؤلف منه فى الفصل الرابع . . . .

ليس على المؤلف من بأس فى أن يخالف الواقع التاريخى ، على أن يعوضنا عنه بالواقع النفسى . ولكن المؤلف فى الفصل الرابع قد خالف الواقعين جميعاً .

فتلك المحاورة الطويلة بين الرشيد وجعفر لم تقع تاريخياً ، وليس لها مكان فى الواقع النفسى ، بل هى مخالفة لطبائع الأشياء . فالرشيد الذى يعلم من أمر البرامكة ومكانهم فى الدولة ما يعلم لا يقدم على الايقاع بهم إلا بعد تدبير محكم مبيت منذ زمن طويل ، ولا يفشى نياته

هذه ولا يظهر منها شيئا خفية انتقاض البرامكة قبل تمام التدبير — وهذا ما حدث فعلا فى التاريخ — بخلاف مابدا فى الرواية ، فالجميع كانوا يحسون بالنكبة قبل وقوعها ويتنبأون بها . كما يبدو فى الرواية أن الرشيد لم يصمم إلا بعد هذا الحوار الطويل الذى أسر فى نهايته بقتل جعفر ، فكأنه لم يمض بين التصميم والنكبة إلا دقائق لا يتسع فيها الوقت للتدبير المحكم الشامل الذى تقضى البرامكة فى طول البلاد وعرضها كما يقول التاريخ ، وكما لا بد أن يكون .

وكثير من الحوار ليس طبيعياً أن يقوله الرشيد ، ففيه غض من كرامته وتحقير لشأنه ولا يقدم عليه خليفة مهما تكن الظروف ، ومهما كان واقعاً ، فحسبه أن يحسه فى نفسه ثم يكتمه رعاية لمقامه وحفظاً لكرامته .

وقد يكون عذر المؤلف أنه شاء أن يبرر موقف الرشيد . ولكن هذا لا يكفى من الناحيتين الفنية والواقعية . على أن هذا الحوار يمكن إغفاله كله دون أن تنقص هذه المبررات شيئاً ، فقد علمناها جميعاً فى ثنايا الرواية قبل الحوار ، وعذرنا الرشيد فى الاصغاء للمؤامرات وأدركنا أنها ليست كذبا كلها من بدوات جعفر ، ومن تصرفه مع يحيى الطالبى ، ومن ثورة الصناع ، وما قالوه عن ضعف الخليفة واتساع سلطة البرامكة . . . الخ

وقد يكون فى الوقت متسع لحذف المؤلف هذا الحوار كله ، ويعيد بناء الفصل الرابع على أساس هذا الحذف دون أن تفقد الرواية شيئا يذكر ، بل لتزيد صحة وترتفع فناً .

وهناك هنات أخرى صغيرة — ولعلها ليست هنات بل وجهات نظر — فحديث الجوارى والرعاع كان من حيث المستوى الفكرى والتعبيرى فى مستوى حديث الخليفة والوزير والعباسة وزبيدة . . . وأنا أوثر أن يتحدثوا فى مستواهم مع المحافظة على مجرد صحة اللغة دون روعة الأداء . وهناك شعراء يقوم الواحد منهم إثر الآخر فيتحدث بنفس البحر والقافية فى الثناء على البرامكة ، وكان من الخير أن تتنوع النغمة بتنوع المتحدثين ، فهذا هو الطبيعى فى الحديث .

أما الهنات التى لا شك فيها فهى تلك الأناشيد التى يستقبل بها جعفر البرمكى فى الخارج بعد عودته من الشام والخليفة على رأس الموكب ، وتلك الأماديح التى يخص بها الشعراء جعفرا فى حضرة الخليفة وكأن الخليفة صفر على الشمال كما يقولون ، بل إنه ليسلك نفسه فى عداد الشعراء والمداحين للوزير !

ثم هى فى بعض التعبيرات التى ستحدث فى العصر الحاضر ولم يكن لها فى ذلك العهد وجود . . . مثل أن تقول العباسة - أخت خليفة الاسلام - عن طفلها :

أنظر إليه ملكا حالما كأنه عيسى عليه السلام

ومثل أن يسلم مسلم على الخليفة فيقدم اسم المأمون على الأمين ، وهذا ولى العهد . وممن يقع هذا ؟ من العباس بن محمد الهاشمى فى وقت تثور فيه عصبيتان : العرب والفرس وتتصارعان

ولكن حسب الرواية بعد هذا كله أن مواضع الاجادة فيها متفق عليها من الجميع ، وأن مواضع النقص قد تختلف فيها الآراء . ثم حسبها أنها أسلم من جميع المحاولات الشعرية السابقة فى اللغة العربية ، وهذا حق يجب إبرازه وتقريره .

وبعد ، فماذا صنع المخرج والممثلون بالرواية على المسرح ؟

الجواب ـ مع الأسف ـ مما يؤذى المسرح المصرى والفرقة المصرية للتمثيل ! الجواب أن الاخراج أبرز الحضارة الاسلامية فى عهد الرشيد فى صورة زرية ، وأبرز الرشيد نفسه فى صورة أكثر زراية . وإنى لأسائل : أهؤلاء هن جوارى عهد الرشيد ، وهذه هى مغنيته ؟ أهذه خامة القصور فى عهد الرشيد ومشاهد الحضارة فى زمانه ؟

يقال : إن العذر هو فقر الفرقة ، وفقر الأوبرا . . . وهذه فضيحة ! فأين الدولة ! ولم لا ترصد لهذه الروايات التاريخية إعانات خاصة من وزارة المعارف كالتى تمنح للفرق الأجنبية ؟

وإذا تجاوزنا المناظر والملابس والمظاهر المزرية ، واتجهنا إلى الممثلين ساءتنا تلك الصورة التى أبرز فيها الرشيد . فلئن كان المؤلف قد جار على هذه الشخصية بعض الشىء فلقد أجهز المخرج والممثل عليها تماما ! ما هذه المسبحة فى يده ؟ وما تلك الانحناءات والاهتزازات المتكررة ؟ وما هذه المشية والحركة . . . أهو « درويش مهبل » ، ذلك الرشيد صاحب أكبر امبراطورية إسلامية ؟ ! . . . وزبيدة ! أهى تلك المتقعرة اللفظ المتكلفة الحركة كأنها إحدى المتحذلقات !

وابن الهادى ! لقد حسبته أحد الصعاليك فى قاءته الزرية وإشاراته المضطربة ونطقه المرتج وحركاته الرعناء ، وبقية الهاشميين والبرامكة ! عن أى مصدر من مصادر التاريخ أو الخيال ، أخذ المخرج حركاتهم فى المشى والجلوس والاشارة والكلام ؟ ! تلك الحركات التى تصلهم بالدراويش أو الرعاع ؟ ! ثم أين السواد ، شعار العباسيين التاريخى الشهير ؟

ثم الاسراف فى البكاء والانفعالات العنيفة . لقد كان ربع هذه الدموع والخرجات كافياً وكان أليق بوقار العواطف الصادقة فى مثل هذه المواقف وبخاصة دموع « العباسة » ونشيجها وحشرجاتها وصرخاتها . وكان ربع انفعالات « جعفر » وحركاته التشنجية يكفى كذلك . . فالى متى يخضع المسرح المصرى لهذه المظاهرات الرخيصة ؟

إذا كان هناك تشويه لحضارة العهد العباسى وشخصياته شكا منه بعض النقاد فلقد كان معظم هذا من صنع الاخراج والتمثيل ، وكان أقله من صنع التأليف . وهذا كذلك حق يجب إبرازه وتقريره .

مبير قطب